عشر وصايا

لولدي لكي لا يكون

إرهابياً

كتبها

الفقير إلى عفو ربّه العلي

بشر بن علي بن يحيى الحنبلي

بسم الله الرحمن الرحيم

عَشْرُ وَصَايَا لِوَلَدِيْ لِكَي لا يَكُونَ إِرْهَابِيًّا

الحَمْدُ للهِ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ.

أمَّا بَعْدُ:

وَلَدي العَزيزُ؛ سَلامٌ مِنَ اللهِ الكَريمِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ، فَهَذِهِ عَشْرُ وَصَايَا، أَكْتُبُهَا لَكَ بِدَمْعِ الإِشْفَاقِ، وَخَوَاطِرِ الأَمَلِ، وَحَنَانِ الأُبُوَّةِ، وَحُقُوقِ البُنُوَّةِ، بِلِسَانِ مَنْ يُنَاجِي رَبَّهُ وَمَوْلاهُ فِي رعايتك، وَقَلْبِ مَنْ لا يَمْلِكُ لَكَ حَوْلاً وَلَا قُوَّةً مِنْ دُوْنِ اللهِ فِي هِدَايتِك.

وَاعْلَمُ أَنَّهُ مَا مِنْ كَبِدٍ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ تَوَدُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ خِفَافَاً، وَلا مِنْ عَيْنٍ تَطْلُبُ أَنْ تَكونَ عَلَيْكَ لِحَافَاً؛ مِنْ كَبْدِ أَبِيْكَ وَعَيْنِهِ، فَاسْمَع وَصِيَّةَ أَبيكَ، وَأَصْغِ لهَا بِقَلْبِكَ وَأُذُنَيْك، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلِيكَ، ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١] ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأحقاف: ١٥] ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٤].

[١] احفظ الله يحفظك.

هَذِهِ وَصِيةُ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالمِينَ، وَجَمعَ الخَيْرَ كُلَّه عَلى لِسَانِه، حَرِيصٌ بِالمؤْمِنِينَ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا يُلْحِقُ بِهِمُ المَشَقَّةَ وَالعَنَتَ، وَكَان بِالمؤْمِنِينَ رَؤوفاً رَحِيمًا، نَبيُّنا مُحَمَّدٌﷺ؛ فَيَقُولُ لَكَ: يَا غُلام: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِالله، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**».

فَاحْفَظِ اللهَ يَا وَلَدِي بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِ الشَّهَواتِ، لِكَي يَحْفَظَكَ اللهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَواتِ، فَمَنْ جَاهَدَ في الله بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ يَتَكَفَّلُ اللهُ تَعَالى بِهِدَايتِهِ إلى السَّبِيلِ، وَالصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩] وَالإِحْسَان هُو: المُدَاومةُ عَلى الطَّاعاتِ، وَأداءُ الفَرَائضِ؛ كَمَا قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَغيرُهُ، وَقَالَ الرَّبِيعُ: «**لَيْسَ عَلَى الأَرْضِ عَبْدٌ أَطَاعَ رَبَّهُ وَدَعَا إِلَيْهِ وَنَهَى عَنْهُ إِلا وَإِنَّهُ قَدْ جَاهَدَ فِي الله**» رَاوهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ.

فَاحْفَظِ اللهَ تَعَالى بِأَدَاءِ الفَرَائضِ، وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَمَا يَدْفعُ البَلِيَّاتِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَواتِ شَيءٌ كَالاسْتِقَامَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَهَذِهِ هِيَ ثَمَرةُ الإحْسَانِ وَالإخْلاصِ، كَمَا قَالَ تَعَالى لَمَّا أَنْقَذَ نُوْحَاً وَمَنْ مَعَهُ: ﴿**فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الصافات: ٧٣ - ٨١].

وَقَال اللهُ تَعَالى عَنْ إبْرَاهيمَ لَمَّا دَفَعَ عَنْهُ الابْتِلاءَ بِذَبْحِ ابْنِهِ إسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٧ - ١١١].

وَقَالَ عَنْ يُوسُفَ عَليهِ السَّلامُ حِينَ وَقَاهُ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف: ٢٤].

فَأَصْلِحْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ، وَكُنْ صَادِقَاً مُخْلِصَاً فِيْ تَوَجُهِكَ إليهِ، وَسَيَحْفَظُكَ اللهُ، وَيَهْدِيَكَ إلى الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.

[٢] الدُّعَاءِ عِصْمَةٌ وَنَجَاةٌ

فَهُوَ حَبْلُكَ المَتِينُ، وَرُكْنُكَ الشَّدِيدُ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الإسراء: ٩٧] و: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

فَافْزَعْ إِلَى اللهِ تَعَالى -يَا وَلَدِي- بِالدُّعَاءِ، وَسُقْ رَكَائِبَ الحَاجَاتِ، وَعُرُوضِ الطَّلَبَاتِ، إلى رَبِّ الأَرْضِ والسَّمَواتِ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

فَأَمْرُ الهِدَايةِ بِيدَيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَهَا أَنْتَ تَطْلُبُهَا مِنْهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ رَكَعَاتِ صَلاتِكَ، وَتَقُولَ مَا يَقُوْلُهُ المُؤْمِنُونَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

فَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ هَذَا، وَاسْأَلْ رَبَّكَ الهِدَايةَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَإِذَا غَارَتِ النُّجُومُ، وَهَدَأتِ العُيُوْنُ؛ فَأَقْبِلْ بِقَلْبِكَ عَلَى مَنْ بِيدِهِ الأَمْرُ جَمِيعًا، وَنَادِهِ نِدَاءَ الغَرِيقِ، وَنَاجِهِ مُنَاجَاةَ الخَائِفِ، وَاطْلُب مِنْهُ طَلَبَ مَنْ لَجَأَ إلى الْكَرِيمِ الَّذِي لا تُنْقِصُ مُلْكَهُ كَثْرةُ الطَّلَبَاتِ، ولا تَعَدُّدِ الحَاجَاتِ، وَقَد دَعَاكَ إلى

سُؤَالِهِ وَقَالَ: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَقُلْ فِيْ قِيَامِكَ وَسُجُودِكَ وَخَلَواتِكَ وَجَلَواتِكَ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**».

فَمُوجُ الفِتَنِ شَدِيدٌ، وَالأَهْواءُ بَينَ النَّاسِ تَتَقَلَّبُ وَتَزِيدُ، فَقُلْ: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**» «**اللهم سلّم سلّم**».

وَقُلْ: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران: ٨].

وَقُلْ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلى طَاعَتِكَ**».

فَالخَطْبُ مِنْ حَوْلِكَ جَسِيمٌ، وَالشُّبَهُ خَطَّافَةٌ، زَلَّتْ فِيْ مَهَالِكِهَا أَقْدَامٌ، وَضَلَّتْ فِيْ مَسَالِكِهَا أَفْهَامٌ، وَطَاشَتْ فِيْ صَحَائِفِهَا أَقْلامٌ، وَتَرى فِيْهَا أَقْوَامَاً قَدْ أُوْتُوا فِي مَيَادِينِ الهَوَى ذَكَاءً وَمَا أُوْتُوا زَكَاءً، وَأُعْطُوا فُهُوْمَاً وَمَا أُعْطُوا عُلُوْمَاً وَأُعْطُوا سَمْعَاً وَأَبْصَارَاً وَأَفْئِدَةً ﴿**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون**﴾ [الأحقاف: ٢٦].

فَلا تَظُنّ بِأنَّ الشُّبُهاتِ لا تُصِيبُ إلَّا المَجَانِينَ وَأهْلِ الجَهَالاتِ! فَكَمْ فَتكَتْ بِفِئَامٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ وَالعِبَادَةِ ﴿**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: ١٠٤] ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ [النور: ٤٠].

يَقُولُ الإِمامُ أَبُوْ عَبْدالله عُبيدُالله ابنُ بَطَّةَ الحَنْبَلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِيْ كِتَابِهِ "الإِبَانَةِ" (١/ ٢٧٢): «**إِخْوَانِي؛ فَهَذَا نَبأُ قَوْمٍ فَضَلَّهُمُ اللهُ وَعَلَّمَهُمْ وَبَصَّرَهُمْ وَرَفَعَهُمْ، وَمَنَعَ ذَلِكَ آخَرِينَ إِصْرَارُهُمْ عَلَى الْبَغِيِّ عَلَيْهِمْ، وَالْحَسَدُ لَهُمْ إِلَى مُخَالَفَتِهِمْ، وَعَدَاوَتِهِمْ، وَمُحَارَبَتِهِمْ، فَاسْتَنْكَفُوا أَنْ يَكُونُوا لِأَهْلِ الْحَقِّ تَابِعِينَ، وَبِأَهْلِ الْعِلْمِ مُقْتَدِينَ فَصَارُوا أَئِمَّةً مُضِلِّينَ وَرُؤَسَاءَ فِي الْإِلْحَادِ مَتْبُوعِينَ رُجُوعًا عَنِ الْحَقِّ، وَطَلَبَ الرِّيَاسَةِ، وَحُبًّا لِلاتِّبَاعِ وَالِاعْتِقَادِ، وَالنَّاسُ فِي زَمَانِنَا هَذَا أَسْرَابٌ كَالطَّيْرِ، يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَوْ ظَهَرَ لَهُمْ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ مَنْ يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ، لَوَجَدَ عَلَى ذَلِكَ أَتْبَاعاً وَأَشْيَاعاً**».

فَالزَّمَانُ مُخِيفٌ، وَالحَالُ أسِيفٌ، وَلا مَنْجَاةٌ لَكَ يَا وَلَدِي إلَّا بِالله تَعَالى، فَارْكَب فِي سَفِينةِ النَّجَاةِ، فـ: ﴿**لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ**﴾ [هود: ٤٣] مَنْ رَحِمَه اللهُ بِاتِّبَاعِ الكِتَابِ والسُنَّةِ، وَلزُومِ مَا عَلِيهِ السَّلَفُ الصَّالحُ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**تركْتُ فيكُمْ أَمْرَيْنِ لنْ تَضِلُّوا ما تَمسَّكْتُمْ بهما: كتابَ الله، وسنّة نَبيِّهِ**» أَخْرَجَهُ مَالكٌ فِي "الموطأ".

[٣] الْعِلمُ نُورٌ وَالجَهْلُ ظَلامٌ.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤] فَالعِلْمُ نَجَاةٌ لَكَ فِي مُدْلَهِمَّاتِ الْفِتَنِ وَالأَهْوَاءِ، فَاطْلُبِ العِلْمَ، فَهُوَ حَبْلُ اللهِ المتينُ، وَنورُهُ المُبِينُ: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وَلَنْ تُمَيِّزَ بَينَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالصَّوابِ وَالخَطَأِ، وَالسُنَّةِ وَالبِدْعَةِ، إلّا إنْ وَهَبَكَ اللهُ: فُرْقَانَ العِلْمِ، وَمِنْظَارَ الهِدَايةِ، وَالعَقْلَ السَّليمِ، وَالفَهْمَ القَوِيمَ.

فَعَلَيْكَ بِرِياضِ العِلْمِ، وَإِيَّاكَ أنْ تَخُوضَ مَعَ الخَائِضِينَ فِيْ لُجَجِ الفِتَنِ وَالمُعْضِلاتِ، وَصِراعِ المسَائلِ وَالخِلافَاتِ، وأخَصُّهَا مَسائلَ التَّكْفِيرِ والدِّمَاءِ، وَمقَالاتِ المُخَالِفِينَ للكِتَابِ المُخْتَلِفِينَ فِيْ الكِتَابِ، قَبْل أنْ يَسْبِقَ إلى قَلْبِكَ العِلمُ الصَّحِيحُ، وَالاعْتِقَادُ السَّليمُ، لِكَي تَعْرِضَ عَلَيهِ كُلَّ مَا يَدُورُ حَوْلَكَ مِنْ مَقَالاتٍ وَآرَاءٍ وَمَذَاهِبَ، فَالأسْبَقُ إلى القَلْبِ هُوَ المِيْزَانُ، وَقَدْ قِيلَ: التَّأسِيسُ قَبْلَ كَشْفِ التَّلْبِيسِ.

فَعَليكَ بِتَأسِيسِ قَلْبِكَ عَلى قَواعِدَ سَلِيمةٍ، وَأصُولٍ رَاسِخَةٍ، حَتّى تَنْزِلَ فِي مَيَادِينِ العِرَاكِ وَالصِّرَاعِ الَّتِي بُلِيَتْ بِهَا الأُمَّةُ بِقَلْبٍ رَاسِخٍ ثَابِتٍ عَلَى هُدىً مِنَ اللهِ وَنُورٍ.

قَال ابنُ أبيْ زَيدٍ القَيْرَوانِيِّ فِيْ أوَّلِ "رِسَالَتِهِ": «واعْلَمْ أنَّ خيرَ القُلُوبِ أوْعَاها للخيرِ، وأرْجَى القلوبِ للخَيرِ مَا لم يَسْبِقْ الشّرُّ إليهِ، وَأولى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ، ورَغِبَ في أجْرِهِ الرَّاغِبُون، إيصالُ الخيرِ إلى قُلُوبِ أولادِ المؤمنينَ ليَرْسَخَ فِيهَا، وتَنْبِيهِهم عَلى مَعَالِمِ الدِّيانةِ، وَحدُودِ الشَّرِيعةِ ليُراضُوا[1] عَليها، وَمَا عَلَيهِم أنْ تعتقدَه مِنَ الدِّين قلوبُهم، وتَعملَ بِهِ جَوَارحُهُم ... وَقَد مَثَّلتُ لكَ مِنْ ذَلكَ مَا يَنْتَفعونَ -إنْ شاء اللهُ- بِحِفْظِه، وَيشْرُفُون بِعِلْمِهِ، ويسْعَدونَ باعْتِقَادِهِ، والعملِ بِهِ، وَقَدْ جَاءَ أنْ يُؤمَروا بالصَّلاةِ لسَبْعِ سِنَين، ويُضْرَبُوا عَليها لِعَشْر، وُيفَرَّقُ بينهم في المضاجعِ[2]، فكذلكَ يَنْبغي أنْ يَعْلمُوا ما فرضَ اللهُ على العبادَ من قول وعمل قبل بلوغهم[3] لِيَأتِي عَلِيهِم البُلُوغُ وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِم، وَسَكَنَتْ إليهِ أنْفُسُهُم، وَأَنِسَتْ بِما يَعمَلون بِهِ مِنْ ذَلك جوارِحُهُم» انتهى.

فإنْ عَرَفْتَ فَضْلَ العِلْمَ وَجَلالَتَهُ، فَعَليْكَ بِأهْلِهِ صِدْقَاً وَتَحْقِيقَاً، وَفِرَّ مِنْ أدْعِياءِ العِلْمِ، وَأرْبَابِ الجَهَالةِ، وَأهْلِ البِدْعَةِ وَالغِوَايةِ، فإنَّ مِنْ نِعْمَةِ الله

---

[1] أي ليُدرَّبوا عليها، من راض يَرُوضُ.

[2] رَواهُ الإمامَ أحْمَدُ وأبُوْ دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ عَنْ أبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أنَّ النَّبيﷺ قَالَ: «**مُرُوا أوْلادَكُمْ بالصَّلاةِ وَهُمْ أبْنَاءُ سَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفرِّقُوا بَيْنَهُم فِيْ المضَاجِعِ**».

[3] وإنْ لم يَكُنْ جَرَى عَلَيْهِم القَلمُ وَالتَّكْليفُ، إلّا إنّ هَذَا لا يَمْنَعُ مِنْ تَعْلِيمِهِم فَرائضِ الاعْتِقَادِ والأحْكَامِ، كَمَا يُضْرَبُونَ عَلى الصَّلاةِ وَهُمْ في سِنِّ العَاشِرةِ وَلم يَبْلُغُوا التَّكْليفَ.

تَعَالى عَلَيْكَ أنْ تُهدَى لِعَالِمٍ عَلى دِينٍ وَسُنَّةٍ، قَال ابنُ شَوْذَبٍ: «**إنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلى الشَّابِ إذَا نَسَكَ أنْ يُوَافِيَ صَاحِبَ سُنَّةٍ يَحْمِلُهُ عَلَيْهَا**».

وَقَال أيُّوبِ السِّخْتِيَانِيُّ: «**إنَّ مِنْ سَعَادَةِ الحَدَثِ وَالأعْجَمِيِّ أنْ يُوفِّقَهُمَا اللهُ لِعَالِمٍ مِنْ أهْلِ السُنَّةِ**».

فأنْتَ إنَّما تَطْلبُ دِينَكَ، فَانْظُرْ عَمَّنْ تَأخُذُ دِينَكَ، كَمَا رَوى مُسْلِمٌ فِيْ مُقَدِّمَةِ "صَحِيحِه" عنْ مُحَمَّدِ بنِ سِيرينَ قَالَ: «**إنَّ هَذا العِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّن تَأخُذُونَ دِينكُم**».

وَأصْدَقُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبيِّﷺ: «**المَرْءُ عَلى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلِ**» رَوَاهُ أبو دَاودَ وَالتِّرْمِذيُّ.

فَكَذَلِكَ المرْءُ عَلى دِينِ شَيْخِهِ وَمُرَبِّيهِ، كَمَا قَالَ يُوسُفُ بنُ أسْبَاطَ: «**كَانَ أبي قَدَرِيًّا، وَأخْوَالي رَوَافِضَ، فَأنْقَذَني اللهُ بِسُفْيانَ**».

وَعَنْ أبي قِلابَةَ عَنْ أبي الدَّرْدَاءِرضي الله عنه قَالَ: «**مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ مَمْشَاهُ وَمَدْخَلَهُ وَمَخْرَجَهُ**».

ثُمّ قَالَ أبُو قِلابَةَ: وَأحْسنَ الشَّاعِرَ حِينَ قَالَ:

عَنِ المرْءِ لا تَسْأل وَأبْصِرْ قَرِيْنَهُ ... إنَّ القَرِينَ بِالْمُـقَـارَنِ يَقْتَدِي

فَيَا وَلَدِي؛ عَلَيْكَ بِعُلَمَاءِ السُنَّةِ وَالأثَرِ، الصَّادِقِينَ الرَّاسِخِينَ، المُتَّبِعينَ لمنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، فَهُمْ أصْحَابُ الحِجَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، وَالنُّجُومُ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا في دَيَاجِيرِ الفِتَنِ، فَعِنْدَمَا تَحُلُّ المُعْضِلاتُ، وَالمسَائلُ

الْمُشْكِلاتُ، فَافْزَع إليْهم فَاللهُ تَعَالى أمَرَكَ بِهَذَا، فَقَال سُبْحَانَهُ وَتَعَالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء: ٨٣] ويقول تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣].

[٤] الزم جماعة المسلمين وإمامهم

هَذِهِ وَصِيةُ الله تَعَالى؛ وَوَصِيةُ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍﷺ، وَاللهُ تَعَالى يَقُولُ: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٣] وَيقُولُ تَعَالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء: ٥٩].

وَرَوَى الإِمامُ أَحْمَدُ وَغيرُهُ عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؟ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وَقَال حُذَيْفَةُرضي الله عنه للنَّبيِّ ﷺ لَمَّا ذَكَر لَهُ اخْتِلافَ النَّاسِ في آخِرِ الزَّمَانِ: فَمَا تَرَى إِذَا أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ فقال النبيﷺ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامَهُمْ**» فَقال حذيفة: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ فقَالَ النبيﷺ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ**

الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» متفق عليه.

وَقَال النَّبيَّ ﷺ: «**عَلَيْكُم بِالجَمَاعةِ، وإِيَّاكُم والفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيطانَ مَعَ الوَاحِدَ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَين أَبْعَدُ، مَنْ أَراد بُحْبُوحَةَ الجنة فليلزم الجماعةَ**» رواه الترمذي.

فَيَا وَلَدِي؛ إِيَّاكَ وَمُفَارَقَةَ الجَمَاعةِ، وَالخُروجَ عَلى وُلاةِ الأَمْرِ بِالقَوْلِ والسِّلاحِ، حَتَّى لَوْ ظَلَمُوا وَجَارُوا، فَرَسُولُ اللهِ ﷺ لَمْ يَأمُرْنَا بِالخُرُوجِ عَلَيْهِم، وَلَا مُنَازَعَتِهِم في الأَمْرِ، وَإِنَّما أَمَرَنَا بِالصَّبْرِ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**».

وَقَال: «**إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا قُلْنَا: فَمَا تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ اَلْحَقَّ اَلَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اَللَّهَ اَلَّذِي لَكُمْ**».

وَقَال النَّبيُّ ﷺ للأَنْصَارِ -وَالخِطَابُ لَهُمْ وَلِكُلِّ مَنْ اتَّبَعَهُ وَاتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ-: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي أَثَرَةً**» ، **قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**».

فاصْبِرْ -يَا وَلَدي- وَصَابِرْ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَخْرُجَ عَلى جَمَاعةِ المُسْلِمِينَ، فَالجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالفُرْقَةُ عَذَابٌ.

وإيَّاكَ أنْ تَنْشُرَ مَثَالِبَ وُلاةِ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَإنَّ أوَّلَ الفِتْنَةَ تَقْدَحُ بِكَلِمَةٍ، فَيكونَ عَلَيكَ وُزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، أوْ قُتِلَ بِسَبَبِهَا، أوْ خَرَجَ عَلى جَمَاعةِ المُسْلِمِينَ بِالقَتْلِ وَالفَسَادِ.

رَوى ابنُ سَعْدٍ في "الطَّبَقَاتِ" عَنْ عَبْدِالله بنِ عُكَيْمٍ؛ أنَّهُ قَالَ: «**لا أُعِينُ عَلَى دَمْ خَلِيفَةٍ أبداً بَعْدَ عُثْمانﷺ!**» فَقَالُوا لَهُ: يَا أبَا مَعْبَد أوَ أعَنْتَ عَلَى دَمِهِ؟ فَقَالَ: «**إنّي أعدُّ مَسَاوِيهِ عَوْنَاً عَلى دَمَهِ**».

فإيَّاكَ وَنَشْرِ الشَّائِعَاتِ، وَعُيوبِ الوُلاةِ، وَلُو كَانَ ذَلِكَ عَلى سَبِيلِ النَّصِيحَةِ، فَالنَّصِيحةُ سَبِيلُهَا مَعْرُوفٌ، وَإنَّمَا تَكُونُ في السِرِّ لا فِي العَلانِيَةِ.

رَوى الإمِامُ أحْمَدُ وَغيرُهُ مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ بنِ غَنْمٍﷺ عَنْ رَسُولِ اللهﷺ أنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أرَادَ أنْ يَنْصَحَ لِذِيْ سُلْطَانٍ فَلا يُبْدِهِ عَلانِيةً، وَلَكِنْ ليأخُذَهُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإلاّ كَانَ قَدْ أدّى الَّذِي عَلَيهِ لَهُ**» أيْ مِنَ النَّصِيحَةِ، وَهَذَا حَديثٌ صَحِيحٌ سَألتُ شَيْخَنَا ابنَ بَازٍ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ عَنْ صِحَتَّهُ ؟ فَقَالَ: «إسْنَادُهُ جَيِّد».

وَعِنْدَ الإمامِ أحْمَدَ في "المُسْنَدِ": أنَّ سَعِيدَ بنَ جُمْهَان تَكَلَّمَ في السُّلْطَانِ فَغَمَزَهُ عَبْدُالله بنُ أبي أوْفَىﷺ ثُمَّ قَالَ: «**وَيْحَكَ يَابْنَ جُمْهَان! عَلَيكَ بِالسَّوَادِ الأعْظَمِ، إنْ كَانَ السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ فَأتِهِ فِيْ بَيْتِهِ فَأخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَم، فَإنْ قَبِلَ مِنْكَ وإلاَّ فَدَعْهُ، فَإنَّكَ لَسْتَ بِأعْلَمَ مِنْهُ**» .

وَرواهُ الطّبَرانيُّ أيْضاً، قَالَ الهَيْثَمِيُّ في "المَجْمَعِ": «رَوَاهُ أحْمَدُ وَالطَّبَرَانيُّ وَرِجَالُ أحْمَدَ ثِقَاتٍ».

وَفِي "الصَّحِيْحَينِ" أنَّ أُنَاسَاً انْتَقَدُوا أُسَامَةَ بنَ زَيْدٍ رضي الله عنه وَقَالوا لَهُ: أَلَا تَدْخُلَ عَلى عُثْمانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: «**أتَرَونَ أنّي لا أُكَلِّمَهُ إلاّ أُسْمِعُكُمْ؟ وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمْتَهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أنْ أفْتَحَ أمْرَاً لا أُحِبُّ أنْ أكُونَ أوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ**».

وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أنَّه قَالَ: «**أيّها الرَّعِيةُ لنَا عَلَيْكُمُ حَقَّاً النَّصِيحةُ بِالغَيْبِ، وَالمُعَاونَةُ عَلى الخَيْرِ**».

وَسُئِلَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُما عَنْ كَيْفِيةِ أمْرِ السُّلْطَانِ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِ عَنِ المُنْكَرِ؟ فَقَالَ: «**إنْ كُنْتَ فَاعِلاً وَلَا بُدَّ فَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ**» ذَكَر ذَلِكَ ابنُ رَجَبٍ في "جَامِعِ العُلُومِ وَالحِكَمِ" ثُمَّ قَالَ: «كَانَ السَّلفُ إذَا أرَادُوا نَصِيحةَ أحَدٍ وَعَظُوهُ سِرّاً».

[٥] فرّ من "المبتدع الخارجي" فرارك من الأسد.

احْذَرْ يَا وَلَدِي مِنْ أَصْحَابِ البِدَعِ، فَإِنَّهُم السُمُّ الزُّعَافُ، وَحَبْلُ الضَّلالةِ الخَطَّافُ، وَهُمُ الدُّعَاةُ عَلى أَبْوَابِ جَهَنَّم، وَهُمْ الخَارِجُونَ عَنْ السَّبيلِ، المَارِقُونَ عَنْ سُنَّةِ سَيْدِ المُرْسَلِينَ، وَالمُفَارِقُونَ لِجَمَاعةِ المُسْلِمِينَ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٨] وَأَهْلُ البِدَعِ هُمْ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدَىً، وَهُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءِ الفِتْنَةِ وابْتِغَاءِ تَأْوِيلِهِ، لأَنَّ قُلُوبَهُمْ مَرِيضَةٌ زَائِغَةٌ عَنِ الحَقِّ، قَال تَعَالى: ﴿**وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [آل عمران: ٧] قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**إِذَا لَقِيتُم مَنْ سَمّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»، أَوْ «**لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**» رَوَاهُ أَبُوْ دَاودَ.

وأهلُ البِدَعِ دَجَاجِلةٌ؛ وَالسُنَّةُ فِيْهِم كَالسُنَّةِ مَعَ الدَّجَالِ، فِيْ الحَذَرِ مِنْهُمْ، وَعَدَمِ الاسْتِمَاعِ إليْهِمُ، وَعَلى ذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رضي الله عنهم.

رَوَى اللَّالَكَائِيُّ في "السنة" أنَّ ابنَ عُمَرَ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا ذُكِرَ لَـهُ بَعْـضُ كَلامِ نَجْدَةَ الحَرُورِيِّ؛ فَجَعَلَ لا يَسْمَعُ مِنْهُ كَرَاهِيَةَ أنْ يَقَعَ فِيْ قَلْبِهِ مِنْهُ شَيءٌ.

وَرَوى عَنْ يَحيى بنِ أبي كَثِيرٍ أَنَّهُ قَالَ: «**إذَا رَأيْتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ في طَرِيقٍ فخذ في غيره**».

وَرَوى عَنْ ابنِ الْمُبَارَك أَنَّهُ قَالَ: «**يَكُونُ مَجْلسُكَ مَعَ المَسَاكِينِ، وَإيِّـاكَ أنْ تُجَالِسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ**».

وَقَال الفُضَيْلِ: «**لا تجْلِسْ مَعَ صَاحبِ بِدْعَةٍ فَإنّي أخَافُ أنْ يَنْزِلَ عَلَيْـكَ اللَّعْنَةَ**».

وَعَـنْ أبي قِلابَـةَ قَـالَ: «**لا تُجَالِسُـوهُمْ وَلَا تُخَـالِطُوهُمْ فَـإنّي لَا آمـنُ أنْ يَغْمِسُوكُم فِيْ ضَلالَتِهِمْ وَيُلبِّسُوا عَلَيْكُمْ كَثِيرَاً مِمَّا تَعْلَمُونَ**».

وَكَان ابنُ طَاووس جَالِسَاً فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلةِ، ثُـمَّ جَعَـلَ يَـتكلَّمُ، فَأدْخَلَ ابنُ طَاووسٍ أُصْبُعَيهِ فِيْ أُذُنَيـهِ وَقَـال لابْنِـهِ: «**أَدْخِـلْ أُصْـبُعَيكَ في أُذُنَيكَ وَاشْدُدْ؛ لا تَسْمَعْ مِنْ كَلامِـهِ شَـيْئَاً**»، قَـالَ مَعْمَـر: يَعْنِـي أنَّ القَلْـبَ ضَعِيفٌ.

وَقَال رَجُلٌ مِنَ أهْلِ الأهْوَاءِ لأيُّوبَ السِّـخْتِيَاني: أسْـأَلُكَ عَـنْ كَلِمَـةٍ؟ فَوَلّى أيُّوبُ وَهُوَ يَقُولُ: «**لَا وَلَا نِصْفُ كَلِمَةٍ، مَرَّتِينِ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ**».

وَرَوى ابنُ بَطَّةَ عَنْ عَمْرِو بنِ قَيْسٍ قَال: كَانَ يُقَالُ: «**لا تُجَالِسْ صَاحِبَ زَيْغٍ فَيَزِيغُ قَلْبُكَ**».

وَرَوى عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**لا تُجَالِسْ أَهْلَ الأَهْوَاءِ، فإنَّ مُجالَسَتِهِم مُمْرِضَةٌ لِلْقَلْبِ**».

وَرَوى عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «**لا تُجَالِسُوا أَهْلَ الأَهْوَاءِ فَإِنَّ لِقَاءَهُم عِرَّةً كَعِرَّةِ الجَرَبِ**».

وَرَوى عَنْ إِسْمَاعِيلَ بنِ عُبَيدِالله قَالَ: «**لَا تُجَالِسْ ذَا بِدْعَةٍ فَيَمْرَضْ قَلْبُكَ، وَلا تُجَالِسْ مَفْتُونَاً، فَإِنَّه مُلَقِّنٌ حُجَّتَهُ**».

وَرَوى أَبُو نُعَيمٍ فِيْ "الحِلْيَةَ" وَغيرُهُ عَنْ سُفْيانِ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَصْغَى سَمْعُهُ إلى صَاحِبِ بِدْعَةٍ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ الله تَعَالَى**».

وَجَاءَ رَجُلانِ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ إلى ابنِ سِيْرين فَقَالا: يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قَالَ: «**لَا**»؛ قَالَا: فَنَقْرأُ عَلَيْكَ آيةً؟ قَالَ: «**لَا؛ لَتَقُوْمَانِ عَنِّي أَوْ لأَقُوْمَنَّ**».

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إنَّ فُلانَ يُرِيدُ أَنْ يَأتِيَكَ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِشَيءٍ! فَقَالَ: «**قُلْ لِفُلانٍ؛ لَا مَا يَأتِيْنِي فَإِنَّ قَلْبَ ابنِ آدَمَ ضَعِيفٌ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ كَلِمَةً فَلا يَرْجِعُ قَلْبِي إِلَى مَا كَان**».

وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ إلى طَاووسٍ وَهُوَ جَالِسٌ فَقَالَ: أَتَأذَنُ لي أَنْ أَجْلِس؟ فَقَالَ لَهُ: «**إِنْ جَلَسْتَ قُمْنَا**» فَقَالَ: يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ؛ فَقَالَ: «**هُوَ ذَاك؛ إِنْ جَلَسَتَ وَاللهِ قُمْنَا**» فَانْصَرفَ الرَّجُلُ.

فَيَا وَلَدِي؛ لا تُغَامِرْ بِسَمْعِكَ؛ فَدِينُكَ أَغْلَى مَا لَدِيكَ، فَلا تُسْلِمَهُ إلى مَنْ يُفْسِدُهُ لَك، وَعَلَيْكَ بِعُلَمَاءِ السُنَّةِ، الظَّاهِرِينَ بِهَا، المَعْرُوفِينَ بِالـدَّعْوةِ إلَيْهَـا، الْمُتَمَسِّكِينَ بِالجَمَاعَةِ، وَدَعْ مَنْ سِوَاهُمْ.

[٦] لا خير في كثيرٍ من نجواهم وأحزابهم.

فَأهلُ السُنَّةِ فِيْ غَالِبِ أحْوالِهِمْ: ظَاهِرُونَ؛ كَمَا وَصَفَهُم النَّبيُّ ﷺ فِيْ حَدِيثِ الطَّائِفَةِ المَنْصَوْرَةِ الظَّاهِرَةِ، وَالأصْلُ فِيْ النَّجْوَى الذَّمُّ مَا لَمْ تَكُنْ بِحَقٍّ، وَلَا حَقَّ فِيْ النَّجْوَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ إلَّا فِيمَا خَصَّ اللهُ تَعَالى فِيْ قَوْلِهِ: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ١١٤].

فَيَا وَلَدِيْ؛ إيَّاكَ والسِرِّيَّةِ وَالخَفَاءُ، وَعَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الأعْظَمِ، وَالجَمَاعَةِ الظَّاهِرَةِ، وَمَا عَلَيْهِ أهْلُ الإسْلامِ فِيْ شَعَائِرِهِ الشَّاهِرَةِ، وَإيَّاكَ وَخَلَواتِ المَكِيْدَةِ، وَالانْطِوَاءِ في بُطُوْنِ الأوْدِيَةِ، وَصُدُوعِ الجِبَالِ! وَأنْتَ فِيْ بِلادِ أهْلِ الإسْلامِ، فَهَذَا مِنْ أسْبَابِ البَلاءِ وَالفَسَادِ وَإنْ كَانَتِ النِيَّةُ حَسَنَةً، فَكَيْفَ إذَا سَاءَتِ، وبُيِّتَ مَا لَا يُرْضِيَ اللهُ وَلا رَسُولُهُ ﷺ مِنَ القَوْلِ وَالعَمَلِ؟!

رَوَى ابنُ أبي عَاصِمٍ في "السنة" وَغيرُهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي. قَالَ: «**اعْبُدِ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ، وَآتِ الزَّكَاةَ، وَصُمْ رَمَضَانَ، وَحُجَّ الْبَيْتَ، وَاعْتَمِرْ، وَاسْمَعْ وَأَطِعْ، وَعَلَيْكَ بِالْعَلَانِيَةِ، وَإِيَّاكَ وَالسِّرَّ**» وَهُوَ مَرْوِيٌ عِنْدَ غَيرِهِ عَنْ الحَسَنِ عَنْ عُمَرَ بِهِ وَهُوَ أصَحُّ.

وَتَأَمَّلْ كَيْفَ جَاءَ ذِكْرُ التَّحْذِيرِ مِنْ السِّرِّ، وَالأمْرِ بِالعَلانِيَةِ فِيْ سِيَاقِ الأمْرِ بِالسَّمْعِ والطَّاعَةِ لِوُلاةِ الأمُورِ، فَهَذا يُرْشِدُكَ إِلَى أنَّ غَالِبَ مَنْ يَتَّجِهُونَ للسِرِيَّةِ إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ الخُرُوجَ عَنْ طَاعةِ سُلْطَانِهِمْ.

وَقَبْل أنْ يُبَايعَ النَّاسُ أبَا بَكْرٍ الصِدِّيقَ ﷺ كَانَ بَعْضُ النَّاسُ يَأتُونَ إلى بَيْتِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِﷺ فَأَتَاهَا فَقَالَ: «**يَا بِنْتَ رَسُولِ اللهِﷺ مَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكِ وَلَا بَعْدَ أَبِيكِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْكِ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ النَّفْرَ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَكِ، وَايْمُ اللهِ لَئِنْ بَلَغَنِي ذَلِكَ لَأُحَرِّقَنَّ عَلَيْهِمُ الْبَيْتَ**» فَلَمَّا جَاءُوا فَاطِمَةَ قَالَتْ: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَالَ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ فَاعِلٌ ذَلِكَ، فَتَفَرَّقُوا حَتَّى بُويعَ لِأَبِي بَكْرٍﷺ، رَوُاهُ ابنُ أبي شَيْبَةَ فِيْ "الْمُصَنَّفِ" وَابنُ أبي عَاصِمٍ في "الْمُذَكَّرِ وَالتَّذْكِيرِ".

وَرَوى الدَّارِمِيُّ وَغيرُهُ عَنْ الأوْزَاعيُّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِالعَزِيزِ: «**إِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يَتَنَاجَوْنَ فِي دِينِهِمْ دُونَ الْعَامَّةِ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ عَلَى تَأْسِيسِ ضَلَالَةٍ**».

وَتَأَمَّلْ يَا وَلَدِي؛ كَيْفَ ذَمَّ اجْتِمَاعَهُم بِالسِرِّ وَهُوَ فِي أمْرٍ مِنْ أمُورِ دِيْنِهِم! فَكَيْفَ إِذَا كَانَ هَذَا الاجْتِمَاعُ السِرِّيُّ فِيه الْفَسادُ فِيْ البِلَادِ وَالعِبَادِ، وَالطَّعْنُ فِي وُلاةِ الأمْرِ، وَاتِّهَامُ العُلَمَاءِ؟!

فَعَلَيْكَ يَا وَلَدِيْ؛ بِالجَادَةِ الوَاضِحَةِ، وَإِيَّاكَ وَبُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ، وَسَرَادِيبِ الضَّلَالَةِ.

رَوَى الإِمامُ أَحْمَدُ وَغيرُهُ بإِسْنَادٍ يُحتَمَل عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ، كَذِئْبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ**».

فاحْذَر من خَلَواتِ الشِّعَابِ! وَعَلَيْكَ بِالعَامَّةِ وَالمَسْجِدِ.

وَاعْلَمْ يَا وَلَدِي؛ أَنَّ أَهْلَ السُنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، لَيْسُوا مِنْ هَذِهِ الأَحْزَابِ البِدْعِيَّةِ المُخْتَلَقَةِ، وَمَا يُسَمُّونَهُ اليَوْمَ بِالجَمَاعَاتِ الإِسْلامِيَّةِ، الَّتِي خَرَجُوا بِهَا عَنْ جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ، وَصَيَّرُوهُم شِيَعَاً وأَحْزَابَاً، فَلَيسَ لأَهْلِ السُنَّةِ اسْمٌ إِلَّا أَهْل السُنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وهُمْ الَّذِينَ لَزِمُوا السُنَّةَ، وَلَمْ يُفَارِقُوا جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ، وَهُمْ أَهَلُ الحَدِيثِ وَالأَثَرِ، وَهُمْ أَتْبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَلَيْسُوا حِزْبَاً سِيَاسِيَّاً، وَلَا تَنْظِيمَاً حِزْبِيَّاً، بَلْ هُمْ عَلَى المِلَّةِ الحَنِيْفِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ السَّلَفِيَةِ، ﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

مُؤَسِسُ حِزْبِهُم الأَوْلُ: نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَأَعْضَاءُ مَجْلِسِهِ الأَعْلَى: أَصْحَابُهُ رضي الله عنهم، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأَئِمَّةُ المُسْلِمِينَ.

وَشِعَارُهُمْ: الشَّهَادَتَانِ، وَإِشْهَارُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، وَالبَرَاءَةُ مِنْ دِينِ المُشْرِكِينَ، وَلُزُومُ عَقِيدةِ أَهْلِ الإِيمَانِ، وَيَقُولُونَ مَا قَالَهُ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا وَصَامَ شَهْرَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ**».

وَأُصُولُهُم وَمَصَادِرُ عُلُوْمِهِم، وَغِذَاءُ فُهُومِهِم: الكِتَابُ وَالسُنَّةُ وآثَارُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، إلى ذَلِكَ مَرْجعُ دِينِهِم؛ عَقِيدَةً وَمَنْهَجاً وَفِقْهَاً وَطَرِيقَةً وَأَدَباً.

وَرِجَالُهُم: كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ وأَثَرٍ، ذَكَرَاً كَانَ أوْ أُنْثَى، عَالِماً أوْ دُوْنَه، كَبِيرَاً أوْ صَغِيرَاً، حُرَّاً أو عَبْدَاً، وَمَنْ عَلِمَ فَهُوَ العَالِمُ القُدْوةُ في الخَيْرِ، وَلَا نَجعَلُ قَوْلَ أحَدٍ مِنْهُم حُجَّةً عَلَيْنَا إلَّا بِكَلامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَلا يُقَلِّدُونَ رِقَابَهم حَبْلاً فِيْ يَدِ أحَدٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ مَهْمَا كَانَتْ رُتْبَتُهُ، كَيفَما قَالَ ذَهَبُوا مَعَهُ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإنْ أنَا إلاّ مِنْ غُزَيةَ إنْ غَوَتْ غَوَيتُ وَإنْ تَرْشُدْ غُزَيَّةُ أرْشُدُ!

وَطَرِيقةُ دَعْوتِهم: هِيَ طَرِيقةُ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي أخْبَرَ عَنْهَا اللهُ كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[يوسف : ١٠٨].

فَسَبيلُهُم: الدَّعْوةُ إلى اللهِ أوْلَاً، وَعَلى عِلْم وأَثَرٍ وَبَصِيرةٍ ثَانِيَاً.

وَمَعاقِلُ اجْتِمَاعَاتِهِمْ: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾ [النور: ٣٦] وَحِلَقِ الذِّكْرِ، وَمَجالسُ العِلْمِ.

وَسَمَاعُهُم الَّذِي يَتَقَرَّبُونَ بِهِ: القُـرْآنُ الكَـرِيمُ وكَـلامُ النَّبـيِّ ﷺ وأخْبَـارُ الصَّالِحِينَ السَّالِفِينَ.

وَالحُقوقُ الوَاجِبَـةُ عَلَـيْهِم لِغَـيْرِهِم: «**النَّصِـيحةُ للهِ وَلِكِتَابِـهِ وَلِرَسُـولِهِ ولأئمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم**».

فإنْ وَجَدَتَ مَنْ هَذِهِ أُصُولُهُمْ، وَتِلكَ صِفَاتُهُم، فَكُنْ مَعَهُمْ، وَشُدَّ اليَـدَ بِرِكَابِهِم، فَإِنَّهُم الطَّائفةُ المَنْصُورةُ، وَالفِرْقَةُ النَّاجِيةُ، وَالغُرَبـاءُ الَّـذِينَ كَـانُوا عَلى مَا كَانَ عَلِيهِ النَّبيِّ ﷺ وأصْحَابِهِ.

واجْتَنِبَ التَّحَزُّبَ لأيِّ جَمَاعَةٍ مِنَ الجَماعَاتِ، أوْ حِـزْبٍ مِـنَ الأحْـزَابِ بَعْدَ ذَلِكَ، مَهْمَا كَانْتَ دَعاوِيهِم وَشِعَارَاتِهِم، فَلا يَقْبـلُ الانْقِيـادَ إلَّا البَهَـائمَ الرُّتَّع، والإمَّعَةُ مِنَ الرِّجَالِ.

فَكُنْ يَا وَلَدِي؛ رَفِيعَ الشِّـيْمَةِ، عَظِـيمَ المَكَانَـةِ في نَفْسِـكِ، وَلا تَقْبـلْ أنْ تُقلِّد دِينَك بأيْدي الرِّجَالِ، يَقُودُونَك أينَمَا أرَادُوا، وَلا تُوثِّقَ في ذِمَّتِكِ عَهْدَاً وَلا بَيْعَةً إلَّا لِوليِّ أمْرِ المُسْلِمِينَ، كَما أمَرَكَ نَبيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

[٧] من حسن إسلامك ترك ما لا يعنيك.

يَا وَلَدِي؛ رَوَى الإمامُ مَالِكٍ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**» فَدَعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ شَأنٌ، وَاسْأَلْ ربَّكَ العَافِيَةَ، وَاشْتَغِلْ بِمَا يَنْفَعُكَ مِنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ وَالعِبَادَةِ.

وَلا تَطْلُبِ الْفِتْنَةَ؛ فَإِنَّهَا تَطْلُبُ مَنْ يَطْلُبُهَا، كَمَا رَوَى أَبُو دَاودَ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ عَنْ فِتَنِ آخِرِ الزَّمَانِ: «**سَتَكُون فِتْنَة صَمَّاءُ بَكْماءُ عمياءُ، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا اسْتَشْرَفَتْ لَهُ وَإِشْرَافُ اللِّسَان فِيْهَا كَوقُوعِ السَّيفِ**».

فَكُنْ في عَافِيةٍ، وَلَا تَذْهَبْ إلى مَوَاطِنِ الفِتَنِ، وَلَا مَوَاقِعِ المَذَاهِبِ المُنْحَرِفَةِ، وَلا تَدْخُلْ حِسَابَاتِهِم فِي بَرَامِجِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ، فَكَمْ مِنْ فُضُولٌ جَرّ الأَقْدَامَ إلى مَتَاهَاتِ الأَفْهَامِ، وَكَمْ جَرّ عَبَثُ الفَرَاغِ وَحُبُّ الاطْلاعِ عَلى أَقْوامِ الأَوَابِدَ وَالطَّوام.

وإيَّاكَ وَالعَثَرَاتِ فِيْ شِبَاك الشَّائِعَاتِ، وَخَاصَّةً فِيْ أَيَّامِ الفِتَنِ، فَلا تَقْبَلْ مِنَ الكَلامِ إلَّا مَا صَحَّ وَثَبَتَ، وَلا تَنْقُلْ لِلنَّاسِ إلَّا مَا نَفَع وَأَفَادَ.

وَكُنْ قَائِدَاً لا تُقَادُ، فَلا يَسْتَخِفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ بِقَرْعِ الطُّبُولِ، وَمَا يَسْتَقْبِحُهُ أَرْبَابُ العُقُولِ؛ فَتَتَّبع شَائِعَاتِهِم، وَتَنْقُل أَخْبَارَهُم، وَتَنْضَمَّ إلى جُمُوْعِهِم، وَكُنّ كَالجَمَلِ الأَنِفِ العَاصِي، كَمَا قَال عَبْدُالله بنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه لَمّا ذَكَر الفِتْنَةَ قَالَ: «**الْزَمْ بَيْتَكَ**» قِيْلَ: فَإِنْ دَخَل عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَال: «**فَكُنْ مِثْلَ**

الجَمَلِ الأوْرَقِ الثِّقَالِ، الَّذِي لا يَنْبَعِثُ إلَّا كُرْهَاً، وَلَا يَمْشِي إلا كُرْهَاً» رَوَاهُ أبو عُبيدٍ وَغَيرُهُ.

واعْلَمْ يَا وَلَدِي؛ أنَّ السُّكُوتَ فِيْ الفِتْنَةِ مَنْجَاةٌ، فَكُنْ آخِرَ النَّاسِ فِيْهَا لِتَعْتَبِرَ بِغَيْرِكَ، وَلا تَكُنْ أوَّلَهُم فَيَعْتَبِر بِكَ المُعْتَبِرُونَ! فَالفِتَنُ عَواصِفُ القُلُوبِ، تُحجَبُ فِيْهَا عَنِ البَيِّنَاتِ البَصَائِرُ وَالأبْصَارُ، وَتُطْمَسُ عَنْ بِدِيهِيَّاتِ الحَقَائقِ التَّأمُلَاتُ وَالأفْكَارُ.

أرَأيتَ السَّائرَ فِيْ الصَّحْرَاءِ، فِيْ طَرِيقٍ يَعْلَمُهَا، ثُمَّ تَهُبُّ عَلَيْهِ العَاصِفَةُ، وَتَخْتَفِيَ كُلّ المَعَالِمِ مِنْ حَوْلِهِ! فَانْظُرْ كَيْفَ يَصْنَعُ العَاقِلُ حِينَذَاك، فَإنْ سَارَ بِغَيرِ هُدَىً وَلَا دَلِيلٍ، فَإنَّهُ حِينَ تَنْكَشِفُ العَاصِفَةُ سَيَجِدُ أنَّهُ قَدْ ضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ، وَغَابَ عَنْهُ مَا كَانَ يَعْلَمُ مِنَ المَعَالِمِ، فَلا وصَلَ إلى غَايَتِهِ، وأضلَّ سَبِيلَ الرَّجُوعِ إلى بِدَايَتِهِ.

أمَّا لَوْ سَكَنَ وَسَكَتَ، وَاشْتَغَلَ بِالذِّكْرِ وَالاسْتِغْفَارِ حَتَّى تَنْقَشِع العَاصِفَةُ، لأضْحَى كُلُّ شَيءٍ مَكَانَهُ؛ الأعْلامُ تُعْلِمُهُ، وَالطَّرِيقُ هُوَ هُوَ، والْوِجْهَةُ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، فَيُواصِل المَسِيرَ بِسَلامٍ.

فَكَذلِكَ كُنْ يَا وَلَدِي فِيْ أيَّامِ الفِتَنِ، عَلَيْكَ بِخَاصَّتِكَ وَدَعْ عَنْكَ العَامَّةَ، واشْتَغِلْ بِالعِبَادَةِ وَقِرَاءةِ القُرْآنِ، وَقَد صَحَّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «**العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إلَيَّ**» رَواهُ مُسْلِمٌ، وَالهَرْجُ: الفِتَن.

وَلَا تَتَخَبَّطْ فِي الفِتَنِ تَخَبُّطَ العَشْوَاءِ، فَتَعْرِف مَا كُنْتَ تُنْكِر، وَتُنْكِر مَا كُنْتَ تَعْرِفْ، وَتَتَقَلَّبْ بِكَ الأَهْوَاءُ والآرَاءُ، وَإِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ فِي الغَدِ، فَكَمْ مِنْ رَفِيعٍ اسْتَخَفَّ النَّاسُ عَقْلَهُ، وَتَركُوا قَوْلَه وَنَقْلَهُ، لَمَّا كَثُرَتْ سَقَطَاتُهُ، وَتَعَدَّدَتْ زَلَّاتُهُ، وَصَارَ كَحَاطِبِ لَيْلٍ، لا يَدْرِي مَا يَنْقُلُ وَيَشِيل.

[٨] اعتبر بمن لك فيه مُعتبَر.

فَالحَياةُ دُرُوسٌ، وَالوَقَائعُ عِبَرٌ، فَأطْلِق النَّظَر في صُنْعِ الله في القُرُونِ الأوْلَى، وَحَالِ الخَوَارِجِ الغَابِرين؛ كَيْفَ خَرَجُوا؟ وَلِمَاذَا؟ وَمَاذَا قَال العُلَمَاءُ فِيْهِم؟ وَكَيْفَ كَانَتْ سُنَّةُ الله تَعَالى فِيْ عَاقِبَتِهِمْ؟

مَا خَرَجُوا وَالله وَهُمْ يَرْفَعُونَ الصَّلِيبَ، وَلا يَعْبُدُونَ النَّارَ، وَلَا يَعْقِدُونَ فِيْ أوْسَاطِهُمُ الزُّنَّارَ، وَإنَّمَا خَرَجُوا بِاسْمِ الإسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ، وَكَثْرَةِ العِبَادَةِ وَالزُّهْدِ، يَحْقِرُ الصَّحَابةُ ﷺ -وَهُمْ خَيْرُ جِيْلٍ - صَلاتَهُمْ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصيَامَهُم مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ آنَاءَ اللَّيلِ وَأطْرَافَ النَّهَارِ، وَلَهُمْ دَوِيٌّ بِتِلاوَتِهِ كَدَوِيِّ النْحَلِ، جِبَاهُهُم قَدْ حَفِيتْ مِنَ السُّجُودِ، يَطْلُبُونَ إفْرَادَ الله تَعَالى بِالحُكْمِ، وَينْبُذُونَ سَرِقَةَ الأمْوَالِ والظُّلْمَ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ البَرِيَّةِ، وَمَع ذَلِكَ كُلِّهِ قَال عَنْهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**كِلابُ النَّارِ، كِلابُ النَّارِ، كِلَابُ النَّارِ**» «**شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أدِيمِ السَّمَاءِ**» «**لَئِنْ لَقِيْتَهُمْ لأقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**» «**طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُم أوْ قَتَلُوهُ، لَوْ يَعْلَمُ الجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُم مَا قُضِي لَهُمْ عَلى لِسَانِ نَبِيِّهِم ﷺ لَنَكَلُوا عَنِ العَمَلِ**» «**سُفَهَاءُ أحْلامٍ، حُدَثاءُ أسْنَانٍ يَقُولُونَ مِنْ قَولِ خَيرِ البَرِيَّةِ ، يَقْرءُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، فَأيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُم فَإنَّ فِيْ قَتْلِهِم أجْرَاً لِمَن قَتَلَهُم يَومَ القِيَامَةِ**» «**يَدْعُون إلى كِتَابِ الله وَليْسُوا مِنْهُ فِيْ شَيءٍ**» «**يَتَفَقَّرُونَ العِلْم تَفَقُّرَاً**»

«**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**» «**يَخْرُجُونَ عَلى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**» «**هُمْ شَرُّ الخَلْقِ وَالخَلِيقَةِ**» «**يَخْرُجُ آخِرُهُم مَعَ الدَّجَالِ!**».

وَانْظُرْ كَيفَ قَاتَلَهُمُ الصَّحَابةُ ﷺ، وَكيْفَ كَانَت عَاقِبَتُهُم مِنْ سَفَالٍ إِلَى سَفَالٍ، وَكَانُوا كَمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُم قَرْنٌ قَطَعَهُ اللهُ**» ﴿**سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٦٢].

قَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيْرٍ فِيْ وَصْفِهِم: «وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاس مَنْ أَغْرَبَ أَشْكَالِ بَنِي آدَمَ، فَسُبْحَانَ مَنْ نَوَّعَ خلقه كما أراد، وسبق في قدره العظيم، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي الْخَوَارِجِ إِنَّهُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ [الْكَهْفِ: ١٠٣] وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةَ الضُّلَّالَ، وَالْأَشْقِيَاءَ في الأقوال والأفعال، اجتمع رَأْيُهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، وتَواطَأُوا عَلى المَسِيرِ إِلَى المدَائنِ لَيَمْلِكُوهَا عَلى النَّاسِ وَيتَحَصَّنُوا بِهَا وَيَبْعَثُوا إلى إِخْوَانِهِم وَأَضْرَابِهِم - مِمَّنْ هُوَ عَلى رَأْيِهِم وَمَذْهَبِهِم، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا - فَيُوَافُوهُمْ إِلَيْهَا، وَيَكُونُ اجْتِمَاعُهُم عَلَيْهَا.

فقال لهم زيد بن حصن الطَّائِيُّ: «إِنَّ الْمَدَائِنَ لَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّ بِهَا جَيْشًا لَا تُطِيقُونَهُ وَسَيَمْنَعُوهَا مِنْكُمْ، وَلَكِنْ واعدوا إخوانكم إلى جسر-

نهر جوخى، وَلَا تَخْرُجُوا مِنَ الْكُوفَةِ جَمَاعَاتٍ، وَلَكِنِ اخْرُجُوا وحداناً لـئلا يفطن بِكُمْ» فَكَتَبُوا كِتَابًا عَامًّا إِلَى مَنْ هُوَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ وَمَسْلَكِهِمْ مِـنْ أَهْـلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا، وَبَعَثُوا بِهِ إِلَيْهِمْ لِيُوَافُوهُمْ إِلَى النَّهْرِ لِيَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى النَّاس، ثُمَّ خَرَجُوا يَتَسَلَّلُونَ وُحْدَانَا لِئَلَّا يَعْلَـمَ أَحَـدٌ بِهِـمْ فَيَمْنَعُـوهُمْ مِـنَ الخُروجِ فَخَرَجُوا مِنْ بينِ الآبَاءِ والأُمَّهَاتِ والأَخْـوَالِ وَالخَـالاتِ وَفَـارَقُوا سَائِرَ الْقِرَابَاتِ، يَعْتَقِدُونَ بِجَهْلِهِمْ وَقِلَّـةِ عِلْمِهِـمْ وَعَقْلِهِـمْ أَنَّ هَـذَا الْأَمْـرَ يُرْضِي رَبَّ الْأَرْضِ والسَّمواتِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ الموْبِقَـاتِ، والعَظَائِمِ وَالخَطِيئاتِ، وَأَنَّهُ مما زَيَّنَهُ لهُمُ إِبْلِـيس الشَّـيْطَانُ الـرَّجِيمُ المطْـرُودُ عَنْ السَّمَواتِ الَّذِي نَصَبَ العَدَاوةَ لأَبِيْنَا آدمَ ثُمَّ لذُرِيَّتِهِ مَا دَامَت أَرْوَاحُهُـم فِي أَجْسَادِهِم مُتَرَدِّدَات، وَاللهَ المسْؤُولُ أَنْ يَعْصِـمَنَا مِنْـهُ بِحَوْلِـهِ وَقُوَّتِـهِ إِنَّـهُ مُجِيبُ الدَّعَواتِ، وَقَد تَدَارَكَ جَماعةٌ مِنَ النَّاسِ بَعـضَ أَوْلادِهِـم وإِخْـوَانِهِم فَرَدُّوهُم وَأَنَّبُوهُم وَوَبَّخُوهُم، فَمِنْهُم مَنِ اسْتَمرَّ عَلى الاسْتِقَامةِ، وَمِنْهم مَنْ فَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَحِقَ بِالْخَوَارِجِ فَخَسِرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1].

وَهُمْ كَذَلِكَ فِيْ كُلّ زَمَانٍ إلى اليوم، فَأَلْحِقِ النَّظَائرَ بِالنَّظَائِرِ، فَـمَا القَـومُ إِلَّا القَوْم، وَمَا أَوْلَئكَ إِلَّا هَؤلاءِ، وَلِكُلِّ دِينٍ وَارِثٌ[2]، فَكُـنْ مِـنَ الْمُعْتَـبِرِينَ أُولِي الأَلْبَابِ.

---

[1] "البِدَايةُ والنِّهَايةُ" (٧/ ٣١٦-٣١٧).

[2] رَاجِعْ مَقَالاً لِيْ بِعُنْوَان: "ثَلاثُونَ عَلامَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤلاءِ المُخَرِّبِينَ خَوَارِجٌ".

[٩] الصبر ... الصبر؛ وصية رسول الله ﷺ.

فَيَا وَلَدِي؛ ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧] فَمَهْمَا رَأَيْتَ مِنْ مُنْكَراتٍ، وَصَدَعَ جِدَارَ قَلْبِكَ مَا يَحِلُّ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ ضَعْفٍ وَضِيْقٍ، وَمَا تَرَى وَتَسْمَعَ مِمَّا يُغْضِبُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا يُثَارُ وَيُدَارُ مِنْ ظُلْمٍ أوْ أَثَرَةٍ، فَإِنَّ الَّذِي مِنْ أجْلِهِ غَضِبْتَ، وَفِيْ سَبِيلِه رَغِبْتَ، أمَرَكَ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] فاصْبِرْ وَأصْلِحْ كَمَا أصْلَحَ الأنْبِياءُ وَالرُّسُلُ، فَقَد رَأوا مِنْ الشِّرْكِ وَالضَّلالِ الكَثِيرَ، وَمِنْ الظُّلمِ وَالجَوْرِ الأمْرَ الجَّلَلَ، ومِنْ قَبَائِحِ الأخْلاقِ، وَمَسَاوئَ الطِّبَاعِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللهُ، وَأنْواعَاً مِنَ أسَالِيبِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ الله، وَنَصْبِ العَداءَ للأنْبِياءِ والرسل، وَمَع ذَلِكَ مَا قَابَلُوا الإجْرَامَ بِالإجْرَامِ، وَلَا سَاقُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ إلى مَا لا يَقْدِرُونَ عَلَيهِ، وَلَا اخْتَفَرُوا ذِمَّةً، وَلا نَقَضُوا عَهْدَاً، وَلَا قَتَلُوا شَيْخَاً كَبِيرَاً، وَلَا سَلَبُوا وَلَا اغْتَصَبُوا، وَلا قَتَلُوا الأطْفَالَ وَالنِّسَاءَ، وَلَا ارْتَكَبُوا الحَرَامَ للْغَدْرِ وَالغِيْلَةِ، وَلَا تَقنَّعُوا بِلِبَاسِ النِّسَاءِ وَحَجَبُوا الوُجُوهَ! وإنَّما صَبرُوا في أنْفُسِهم وَصَابَرُوا المؤمنين!

فَهَذَا مُوسَى عَليهِ السَّلامُ، يُظْلَم أشدُّ الظُّلْمِ فِيْ سُلْطَانِ فِرْعَونَ، وَيُقَتَّلُ الرِّجَالُ، وَيُسْتَحْيَى النِّسَاءُ، وَيَزْعُمُ الرُّبُوبِيَّةَ، وَيُقرُّ السِّحْرَ، وَيُحَارِبُ التَّوْحِيدَ، وَيَسْتَهْزِئَ بِالرُّسُلِ! وَمُوسَى هُو الْمَنْصُورُ بِرَبِهِ عَزَّ وَجَلَّ، الَّذِي

قَالَ اللهُ تَعَالى لَهُ وَهُوَ عَلى بَلاطِ فِرْعَونُ: ﴿**قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى**﴾ [طه: ٦٨] وَلَوْ دَعَا اللهَ تَعَالى لخَسَفَ بِفِرْعَونَ وَبِجُنُودِهِ وَأَهْلِهِ وهُو فِيْ قَصْرِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالى أَمَرَهُ بِالصَّبْرِ، وَخَرَجَ مُوسَى مِنْ أَرْضِهِ، مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿**اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٢٨، ١٢٩].

فَكَانَ الظَّفَرُ وَالنَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ الصَّابِرِينَ، فَقَال اللهُ تَعَالى: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وَهَذا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌﷺ، وَهُوَ فِيْ البَلَدِ الحَرَامِ، وَحَوْلَ بَيْتِ اللهِ تُعبَدُ الأَصْنَامُ، وَيُسْتَقْسَمُ بِالأَزْلَامِ، وَتُشْرَبُ الخُمُورِ، وَيُضْطَهَدُ المُؤمِنُونَ، وَيَمُرُّ عَلى آلِ يَاسِرٍ! وَهُم يُعَذَّبُونَ أَشَدَّ العَذَابِ، وَمَا نَكَثَ عَهْدَاً، وَلَا غَدَرَ وَلَا فَجَرَ، وإِنَّما قَالَ لهُمْ: «صَبْرَاً آلَ يَاسِر، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ».

وعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ:

«كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهَّ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَّ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

فَكَيْفَ وَأَنْتَ اليَوْمَ فِيْ حُكْمٍ يَنْصُرُ الإِسْلامَ، وَيَنْشُرُ السُنَّةَ، وَيَأمُرُ بِالمَعْرِوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَرْفَعُ مَنَارَ الشَّرِيعَةِ، وَيَخْدِمُ البَيْتَينِ، وَيُكَافِحُ الشُّرُورَ، وَيَرْعَى الفَضِيلةَ، وَيُحَارِبَ الرَّذِيلةَ؟!

فَمَهْمَا رَأيتَ مِنَ تَقْصِيرٍ؛ فَالصَّبْرُ عَلَيكَ أوْجَبُ، فَمَا تَطْلُبُه مِمَّا فَاتَ مِنَ الخَيْرِ، لَا يُسَاوي مَا تُعْقِبُه الثَّوْرَاتُ، وَيجُرُّه الخُروجُ عَلى وُلاةِ الأُمُورِ مِنَ الشَّرِّ وَالفِتْنَةِ وَالضَّيْرِ، وَحَمْلِ السَّيْفِ عَلى أُمَّةِ مُحَمَّدٍﷺ تُقَاتِل بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا.

وَمَرَّ بِكَ –هُنَا– قَولُ النَّبيِّﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**».

وَقَالَ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا قُلْنَا: فَمَا تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ اَلْحَقَّ اَلَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اَللهَّ اَلَّذِي لَكُمْ**».

وَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي أَثَرَةً**» ، **قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**».

وَخِتَامُ القَوْلِ يَا وَلَدِي؛ البَيْعةُ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ، واللهُ تَعَالى يَقُولُ: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٤] فَلا يَحِلّ لَكَ أنْ تَنْقُضَ هَذَا العَهْدَ مَا أقَامُوا فِيْنَا الصَّلاةِ، فَإنَّمَا بَيْعَتُنَا عَلى دِينِ الله تَعَالى، وَأُعِيذُكَ بِالله تَعَالى أنْ تَكُونَ بَيْعَتُكَ لَهُمْ لِدُنْيَا تُصِيبَهَا، إنْ أُعْطِيتَ مِنْهَا رَضِيتَ وَوَفَّيْتَ، وَإنْ لَمْ تُعطَ مِنْهَا لَمْ تَرْضَ وَلَمْ تَفِ، وَقَدْ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لا يُكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ، ولا يُزَكِّيهم، ولهم عَذَابٌ أليم: رجلٌ بايعَ إمَاماً، فَإن أعطَاهُ وَفَى لَهُ، وإن لم يُعْطِهِ، لم يَفِ لَهُ**» رَواهُ البُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

[١٠] كن كمن كان رحمةً للعالمين

وَهُو نَبِيُّنَا وَحَبِيبُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالى عَنْهُ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فَلا تَنْظُرْ إِلَى النَّاسِ بِعَيْنِ العَذَابِ، وَالْمُبَادَرَةِ بِالعِقَابِ، وَإِنَّمَا كُنْ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَبَالِغْ فِيْ نُصْحِهِم كَمَا صَنَعَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، مَعَ مَا كَانَت عَلَيْهِ أَحْوَالُ أُمَمِهِم حِيْنَذَاك، وَمَع مَا قُوبِلُوا بِهِ مِنَ الأَذِيَةِ وَالقَتْلِ وَالتَّكْذِيبِ، فَاجْتَهَدُوا فِيْ بَذْلِ النُّصْحِ لَهُم، وَمَحَبَّةِ الخَيرِ، فَقَبْلَ أَنْ تَثُورَ بِكَ العَاطِفَةُ العَاصِفَةُ، وَيَدعوكَ أَهلُ الضَّلالِ إِلَى القَتْلِ والتَّكْفِير، والتَّخْرِيبِ وَالتَّفْجِيرِ، ، تَأَمَّلْ فِي نَفْسِكَ مَع قَوْمِكَ –وَهُمْ مُسْلِمُونَ– هَل فَعَلتَ مَعَهم مَا فَعَل نُوحٌ عليه السلام مَعَ قَوْمِهِ –وَهُمْ كَافِرُون– حَيْثُ قَالَ: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾ [نوح: ٥ – ١٠].

وعَنْ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ**» رَوَاهُ الحُمَيْدِيُّ وَغيرُهُ.

فَارْحَمِ النَّاسَ؛ وَاقْبَلْ العُذْرَ، وَالْتَمِسْ التَّأويلَ الحَسَنَ، وَابْذُلْ الجُهْدَ فِيْ نُصْحِهِم وَإِرْشَادِهِم، وَالصَّبرِ عَلى أَذِيَّتِهِم، وَالحُلمِ عِنْدَ إِعْرَاضِهِم، وَاللهُ

تَعَالى يَقولُ للنَّبيِّ ﷺ لَمَّا ضَاقَ صَدْرُهُ مِنْ عَدَمِ اسْتِجَابَةِ النَّاسِ لَهُ: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] وَيقولُ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٩] وَيقُولُ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا * إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٦- ٧].

فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا مَا عَلى الرُّسُلِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠] و ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩].

وَأَمَّا اسْتِخْدَامِ القُوَّةِ، وَحَمْلِ السِّلاحِ للقِتَالِ، وَرَفْعِ رَايةِ الجِهَادِ، فَهُوَ مِنْ شَأنِ وُلاةِ أمُورِ المُسْلِمِينَ، الَّذِينَ بَذَلْنَا لَهُم العَهْدَ وَالبَيْعَةَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ بِالمَعْرُوفِ، فِيْ المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَالعُسْرِ وَاليُسْرِ، وَأَثَرةٍ عَلى أَنْفُسِنَا، إنْ أحْسَنُوا فَلَنَا وَلَهُمْ، وإنْ أَساءُوا فَعَلَيْهِم وَلَيْسَ عَلِينَا شَيْء إنْ صَدَقْنَا وَنَصَحْنَا، وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، واللهُ سَائِلُهُم عَنَّا.

حَفِظَكَ اللهُ يَا وَلَدِي وَرَعَاك، وَمِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ وَضَلالةٍ حَمَاكَ، وَجَعَلَكَ ضِمْنَ أَنْصَارِ دِينِ اللهِ الصَّادِقِينَ، وَأَعَاذَكَ مِنْ سَبِيلِ الخَارِجِينَ المَارِقِينَ، وَصلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَكَتَبَ

بَدْرُ بنُ عَلِيّ بنِ طَامِي العُتَيْبِي

الأَرْبِعَاءُ ٦ شَوْال ١٤٣٦هـ

الطَّائِفُ